جهود العثمانيين في تطور الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي

خالد حسن الجوهي*

تاريخ تسلُّم البحث : 2019/8/15م تاريخ قبول النشر : 2020/5/4م

الملخص

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على بلاد الحجاز بوجود الحرمين الشريفين اللذين كانا منذ ظهور الإسلام ولا زالا قبلة للمسلمين من شتى أنحاء العالم سواء كانوا حجاجاً أو معتمرين أو زائرين لهذه المقدسات، وقد نتجت عن هذه التجمعات البشرية في الحرمين أنشطة اقتصادية متمثلة في الحركة التجارية التي تشهدها المنطقة في أثناء مواسم الحج أو ثقافية وعلمية، فقد كان الحرمان الشريفان نقطة اجتماع للعلماء من شتى أقطار العالم الإسلامي يتدارسون فيما بينهم شتى أنواع العلوم ويجيز بعضهم لبعض، ولهذا وجدت وحدة معرفية وثقافية أدت إلى ازدهار الحركة العلمية في الحرمين كما انتشرت فيها المؤسسات العلمية كالمدارس والكتاتيب وحلقات الدرس في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

يتناول هذا البحث جهود العثمانيين في تطور الحركة العلمية في الحرمين الشريفين فترة القرن العاشر الهجري– السادس عشر الميلادي؛ إذْ شهدت هذه الفترة نقطة تحول تاريخي في بلاد الحجاز وذلك بدخولها تحت النفوذ العثماني. وقد بذل السلاطين العثمانيون وقبلهم المماليك جهوداً مهمة في نهضة العلم والمعرفة في الحرمين الشريفين نتيجة ما قدموه من خدمات جليلة سواء في الدعم المالي أو المعنوي أو من خلال بناء المؤسسات العلمية، وواصلوا ما بدأه المماليك وأضافوا إلى الحياة العلمية زخماً كبيراً من خلال التوسع في بناء المدارس وأهمها المدارس السليمانية الأربع التي أنشأها السلطان العثماني سليمان القانوني.

المقدمة:

إن بلاد الحرمين الشريفين تحتل أهمية كبيرة في نفوس المسلمين كونهما مركز إشعاع فكري وحضاري وقبلة لطلاب العلم والمعرفة من كافة إنحاء العالم العربي والإسلامي. وتأتي الأهمية لهذا الموضوع كونه يسلط الضوء على مرحلة مهمة من تاريخ المنطقة حيث شهد الحرمان خلالها تحولات سياسية تمحورت في أن الدولة العثمانية أصبحت صاحبة السيادة على الحجاز بدلاً عن المماليك وما نتج عن هذا التطور السياسي من نتائج ثقافية وعلمية على بلاد الحرمين .وقد مثلت مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزين مهمين من مراكز العلم في الدولة الإسلامية، ويُعد الحرمان الشريفان من أبرز المراكز العلمية في هاتين المدينتين[1].

ورث المماليك دولة بني أيوب ولم يرضوا لأنفسهم أن يكونوا أقل شأناً في نشر الحركة العلمية والدراسات الإسلامية، فقد قاموا بالعمل على تطوير وازدهار المدارس التي ورثوها عن بني أيوب، كما أنشئوا مدارس متعددة ولعل السبب الذي يعود إلى اهتمام المماليك بالعلم وأهله هو هجرة الكثير من العلماء من المشرق الإسلامي إلى مغربه بعد اجتياح المغول للشرق الإسلامي ودخولهم بغداد وبلاد الشام فاستقر المقام بالكثير من هؤلاء العلماء في مصر، ومما ساعد على النهوض بالحركة العلمية أن بعض المماليك كان على قدر كبير من العلم والمعرفة والفضل، وتصدر بعضهم للإقراء والتدريس، مثل السلطان الظاهر بيبرس (ت 676هـ / 1277م)[2].

حظي الحرمان الشريفان باهتمام خاص من قبل السلاطين المماليك فأنشئوا فيها المدارس المتعددة لكي تكون قبلة لطلاب العلم، كما أنهم بذلوا الأعطيات

* كلية التربية بالمهرة ـ جامعة حضرموت.

لأهل الحرمين والمدرسين والقضاة.[3]

من أشهر السلاطين المماليك الذي ترك بصماته واضحة في الحياة العلمية في الحرمين، السلطان قايتباي (ت 901هـ / 1469م) الذي اعتنى عناية فائقة بالحجاز تتناسب مع قدسية تلك البلاد، فأنشأ آثاراً عظيمة، ما بين مدارس وجوامع، ومساجد، ومكاتب، وديارا بمكة والمدينة ليثبت أن سلطان مصر جدير بلقب "خادم الحرمين الشريفين" لذلك أمر في سنة (882هـ / 1477م) وكيله التجاري في مكة في البحث عن منطقة تشرف على المسجد الحرام، ليبني باسمه فيها مدرسة لتدريس المذاهب الأربعة ورباطاً لسكن الفقراء يحوي اثنتين وسبعين خلوة للأيتام[4] في المدارس التي بناها وخصص لهم مرتبات وكذلك مرتبات للطلبة وسد حاجاتهم من القمح وعمل الخيرات التي لم يسبقه إليها أحد[5].

لم تكن المدينة المنورة بأقل حظاً من مكة المكرمة حيث شهدت المدينة أيام المماليك إنشاء عددٍ من المدارس والأربطة والزوايا والمستشفيات كما رمم المسجد النبوي عدة مرات وبنيت فيه لأول مرة القباب وجدد كلياً في عهد السلطان الأشرف قايتباي[6] إثر حريق ضخم شب به سنة 886هـ/ 1481م ـ، كما كانت بعثات الحج تحمل سنوياً إلى أهل المدينة الأموال والأرزاق.[7]

مظاهر الاهتمام بالحركة العلمية في الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري:

أولاً: أثر العلماء في تنشيط الحركة العلمية في الحرمين:

1 – المجاورة:

الجوار يعني البقاء في مكة المكرمة أو المدينة المنورة، حيث يباشر المجاور حياته اليومية العادية دون مانع وينتهي بخروجه من هاتين المدينتين أو الوفاة، كما أن المجاورة يراد بها المقام مطلقاً، غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي.[8]

لقد كان للمجاورين أثر كبير في الحركة العلمية، حيث نشطت حركة المجاورة في الحرمين الشريفين في العصر المملوكي والعثماني وأكثرهم من مصر وبلاد الشام بسبب قرب هذين الإقليمين من بلاد الحجاز وارتباطهم السياسي بالممالك والدول التي نشأت في المنطقة.

حرص كثير من علماء المسلمين على المجاورة في الحرمين الشريفين لتوفر الجو العلمي بهما حيث يتم الالتقاء بين العلماء من المشرق والمغرب المتعددي الثقافات والمذاهب، وكان هذا اللقاء فرصة لنشر علومهم وإبراز معارفهم كما كانت تمنح الإجازات العلمية للطلاب مما أوجد وحدة ثقافية ومعرفية بين أطراف العالم الإسلامي.[9]

لقد ساعد على حركة المجاورة ما قام به السلاطين العثمانيون من إرسال الصدقات السلطانية والهبات وآلاف الأرادب من الحبوب التي ترسل للحرمين الشريفين ولقد كان للمجاورين نصيبهم من هذه الأرزاق مما جعلهم يتفرغون لمهنة العلم بعد أن أطمأنوا على حياتهم المعيشية.[10]

كان المجاورون على درجة كبيرة من النشاط العلمي الذي أفاد منه المسلمون سواء في أرض الحرمين أو الذين يأتون للحج أو الزيارة وتمثل هذا النشاط في إنتاج العديد من الكتب والمؤلفات في مختلف الفنون والعلوم، ومن أبرز من جاور بالحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري منهم:

الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي الأصل القاهري الشافعي توفي بالمدينة المنورة حال مجاورته الأخيرة وعمره إحدى وسبعون سنة وكانت وفاته عام 902هـ/ 1470م ، حفظ القرآن العظيم وهو صغير وجوده وحفظ المنهاج وألفية ابن مالك، والنخبة وألفية العراقي وشرح النخبة وغالب الشاطبية، برع في الفقه والعربية وشارك في الفرائض

والحساب والميقات، وأصول الفقه، والتفسير وغيرها من العلوم، من مشائخه بالحرمين أبو الفتح الأغر والبرهان الزمزمي، والتقي بن فهد وأبو السعادات بن ظهيرة، من مؤلفاته، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، والتحفة اللطيفة، والمنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي وغيرها من المؤلفات.[11]

ومن المجاورين أيضاً نور الدين أبو الحسن علي بن القاضي عفيف الدين عبدالله ابن أحمد المعروف بالسمهودي(884- 911 هـ/ 1479- 1505م) نزيل المدينة الشريفة وعالمها ومفتيها ومدرسها ومؤرخها، ولد بسمهود) بمصر ونشأ بها وحفظ القرآن والمنهاج الفرعي، قرأ على والده المنهاج، وشرح البهجة، وجمع الجوامع وغالب ألفية ابن مالك وسمع عليه بعض كتب الحديث، قطن بالمدينة ولازم الشهاب الأبشيطي وحضر درسه في المنهاج، وجانباً من تفسير البيضاوي وانتفع به جماعة من الطلاب من مؤلفاته: جواهر العقدين في فضل الشريفين، واقتفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ومختصر خلاصة الوفاء لما يجب لحضرة المصطفى، وحاشية على الإيضاح في مناسك الحج للإمام النووي، توفي سنة 911هـ/ 1505م.[12]

ومنهم عبد الله بن أحمد باكثير الحضرمي المكي (846- 925هـ،/ 1519 - 1442م) حفظ القرآن وهو في الثامنة من عمره، وحفظ المنهاج، والبهجة لابن الوردي وألفية ابن مالك ذهب إلى مكة وجاور بها، أخذ عن جماعة من العلماء، وأجازه بعضهم بالإفتاء والتدريس، حيث كان عالماً فاضلاً، ومن مؤلفاته" الدرر اللوامع في نظم جمع الجوامع، وتتمة التمام وسفك المدام في عقائد أهل الإسلام[13]. ومن عادته أنه يجلس كل يوم بالحرم الشريف يقرئ الناس في عدة علوم إلى قبيل الظهر، ومن بعد الظهر يقرئ آخرين في الحديث إلى العصر، ومن بعد صلاة العصر يقرئ آخرين في التصوف، ومن بعد صلاة المغرب إلى العشاء يطوف.[14]

ومنهم الشيخ زكريا ابن أحمد ابن زكريا الأنصاري، (823-926هـ/ 1420- 1520م) شيخ مشائخ الإسلام علامة المحققين، وسيد الفقهاء والمحدثين، الحافظ المخصوص بعلو الإسناد من مؤلفاته شرح الروض وشرح البهجة، والمنهج، وشرحا البهجة الكبير والصغير سماه بالخلاصة هذه في علم الفقه أما مؤلفاته في الفرائض شرحان على الفصول، وشرح الكفاية، وشرح المختصر، وفي التفسير حاشية على البيضاوي، ومقدمة في البسملة والحمدلة، وفي الحديث شرح البخاري والأعلام بأحاديث الأحكام، ومختصر الآداب للبيهقي، وشرح ألفية العراقي وفي علم القراءات والتجويد مختصر المرشد للعمادي وشرح الجزرية وغيرها من المؤلفات[15].

ومن المجاورين كذلك عبد الحق بن محمد السنباطي القاهري الشافعي(842 - 939 هـ/ 1438- 1533م) خاتمة المسندين، أخذ بالقراءات والسماع من العلامة كمال الدين بن الهمام والشيخ أمين الدين الأقصرائي والشيخ شهاب الدين السكندري المقرئ تلميذ العسقلاني والشيخ المحقق جلال الدين المحلي والعلامة علم الدين البلقيني وغيرهم، انتهت إليه الرئاسة في الفقه والأصول والحدي[16].ومنهم محمد بن عبد الرحمن الحطاب الرغيني الأندلسي الطرابلسي المولد نزيل مكة المكرمة، عالم عامل وحبر كامل ذو تحقيقات وتدقيقات، وغور في الفنون، وفهم عميق، أخذ العلم عن جملة من المشائخ كالسخاوي وغيره توفي سنة 949هـ/ 1542م[17]. وغيرهم كثير.

2 – الأسر العلمية في الحرمين:

تُعد الأسر العلمية المكية والمدينة مظهراً من مظاهر إثراء الحياة العلمية وتنشيطها، حيث اشتهرت أسر في

مكة والمدينة بالعلم والتأليف وحظيت بنصيب وافر من المعرفة وعدد أكبر من العلماء. وأبرز الأسر التي أثرت تأثيراً كبيراً في تطور الحركة العلمية في الحرمين:

أ – أسرة الطبري وتعد من أعرق الأسر العلمية المجاورة في مكة المكرمة وأول من قدم منهم مكة الشيخ رضي الدين أبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن علي بن فارس الحسيني الطبري سنة 570هـ /1175م[18]. وممن اشتهر منهم في العصر العثماني" أبو الخير بن محمد بن أبي السعادات، وإبراهيم بن أبي اليُمن، ومحمد بن أبي اليمُن، وأحمد بن عبدالله، وأحمد بن يحيى، وعبد القادر بن محمد وأخوه عبد الرحمن، وفضل الله بن عبد الله وأخوه محمد وغيرهم، كما اشتهرت منهم سيدة من جلة العلماء وهي مباركة بنت عبد القادر الطبري"[19].

ب – أسرة ابن ظهيرة، ومن علمائها في القرن العاشر الهجري الجمال أبو السعود محمد (ت 907هـ/ 1475م) اعتنى به والده البرهان وأحضره مجالس العلم وأصبح بعد أبيه عالم الحجاز، تصدى الجمال للإقراء في الفقه واللغة العربية والمعاني والبيان والحديث بالمسجد الحرام، كما باشر وظائفه في بعض مدارس مكة، ومنهم كذلك خير الدين محمد بن محمد بن محمد بن حسين (ت 910هـ/ 1478م) ومنهم أبو السعادات (ت 925هـ/ 1519م) ومنهم صلاح الدين محمد أبو السعود (ت 927هـ / 1521م[20].

ج – أسرة ابن فهد وأقدم من عُرف من هذه الأسرة جمال الدين محمد بن عبد الله (ت 736هـ/ 1336م) ومن أعلام هذه الأسرة في القرن العاشر الهجري عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد (ت 922هـ/1516م) نشأ في بيت علم، وتربى بعناية والده وجده ونهل من علومهما، قام بعدة رحلات علمية وسمع على كثير من العلماء، ورجع إلى مكة وأقام بها ملازماً للاشتغال في الحديث وعلومه، والفقه والنحو من مشائخه في الحجاز نور الدين السمهودي والبرهان ابن ظهيرة والنور الفاكهي[21].

د – أسرة الكازروني ترجم السخاوي في التحفة اللطيفة لعدد من علماء هذه الأسرة من الذين شاركوا في التدريس في المسجد النبوي وقدموا مؤلفات في الحديث والفقه واللغة منهم: أحمد بن محمد بن محمد تقي الدين عبد السلام الكازروني (ت 920هـ/ 1514م)[22].

هـ – أسرة آل القطبي اشتهر منهم في القرن العاشر عبد الكريم بن محب الدين القطبي وهو أبرز عالم في بيت القطبي ولد سنة 961هـ / 1554م بأحمد أباد بالهند، قدم مكة مع والده وبها نشأ ولازم عمه وأستاذه قطب الدين وعلى يديه تخرج، ولما توفي عمه حل محله، وصار مفتياً لمكة ومقرباً لدى أمرائها وذا صلة بالدولة العثمانية، بحيث كان أشراف مكة يتوسطون به في بعض الشؤون، وأستطاع بقوة نفوذه أن يحدد من واردات بندر جدة راتباً لمفتي الحنفية بمكة، من مؤلفاته" النهر الجاري على البخاري" لم يكمله، و" إعلام العلماء ببناء المسجد الحرام"[23]. وهناك العديد من الأسر مثل: آل الفاكهي، آل المرشدي، آل المنوفي، وآل القلعي، وآل السنجاري، وآل البصري، وآل العجمي، وآل العتاقي وآل المفتي، وآل الزرعة، وآل علان وغيرهم[24].

ثانياً : أثر السلاطين العثمانيين في تشجيع العلم:

ورث العثمانيون دولة المماليك في حكم الحجاز فلم يرضوا لأنفسهم أن يكونوا أقل شأنا ممن سبقهم في نشر وتشجيع العلم، ولهذا كان انتقال خدمة الحرمين الشريفين إلى العثمانيين بداية تنافس جميل بين حكام وأمراء ورجال بل ونساء الدولة العثمانية في التعبير عن حبهم لهذه البقاع المقدسة فأنشئوا الأعمال

الخيريـــة فـــي منطقـــة الحجـــاز وأوقفـــوا الأوقـــاف الكثيـرة علـى الحـرمين الشـريفين وأهلـه[25]. وأهـم مظاهر اهتمام العثمانيين بالحياة العلمية مايلي:

1 – الأموال والصدقات والهبات:

بدأ اهتمام العثمانيين بالحرمين مبكراً فبعد أن أصبح الحجاز تحت السيادة العثمانية عمل العثمانيون على ضـــخ الأمـــوال والصـــدقات إلـــى الحـــرمين ففـــي 923هـ/1517م أضاف العثمانيون أوقافاً جديدة إلى أوقـــاف المماليـــك الأمـــر الـــذي أدى إلـــى زيادة المخصصات المالية لأهل الحجاز عما كانت عليه أيام المماليك وكانت هذه المخصصات تأتي من حصيلة الأراضي الزراعية وغيرها من العقارات الثابتة التـي أوقفهـا السـلاطين العثمـانيون فـي مصـر وكـان إرسال الصرة[26] إلى بلاد الحرمين من أهم واجبات الـوالي العثمـاني فـي مصـر ويحاسـب إذا قصـر فـي إرسالها، كما كانت تصل بعض الإعانات إلى مكة بصحبة المحمل الشامي[27].

وقد كان السلطان سليم الأول[28] مثل أسلافه محباً لأهل الحرمين الشريفين كثير الإحسان عليهم، وقد ضاعف الصدقة التي كان يرسلها لهم والده كما كان يكرم من جاءه منهم[29]. فقد وصلت عام 924هـ 1518م/ سفن عثمانية تحمل حبوب الصدقات السلطانية إلى أهل الحرمين مقدارها سبعة آلاف أردب [30].منها ألفا أردب لأهل المدينة وخمسة آلاف أردب لأهل مكة كما إنه التفت إلى العلماء والقضاة وأعطى لكل واحد منهم ثلاثة أرادب كما أنه تم إضافة بعض البيوت التي كانت لا تأخذ شيئاً من الصدقات، بحيث كان فقهاء مكة وغيرهم من مجاورين يعتمدون في معيشتهم على ما يصلهم من هذه الغلال والصدقات والتي تكفيهم معظم أيام السنة[31].

لقد كانت المساعدات المالية تتضاعف سنوياً ففي عام 923هـ / 1517م كان يُرسل لأهل الحرمين سبعة آلاف أردب ثم زادت لتصبح اثني عشر أردباً وكان الأردب يعادل مائة وثمانية أُقة عثمانية، فضلاً عن ليرة عثمانية عن كل أردب وكانت ترسل حاصلات المزارع الموقوفة كل عام[32]

وقـد كانـت الصـرة العثمانيـة المرسـلة كـل عـام إلـى الحـرمين وهـي مـن خزينـة الأوقـاف السـلطانية وخزنـة الماليـة تقـدر بمبلـغ 3.399.923 قرشـاً و 30 بـارة[33] وفـي أواخـر القـرن العاشـر 999هـ / 1599م أمـر السـلطان العثمـاني للمجـاورين والعلمـاء والصـلحاء بالمدينة المنورة زيادة على ما كان لهم سابقاً حيث جعل لكل واحد منهم خمسة أرادب من القمح والبعض عشرة أرادب سـنوياً [34]. لقـد كـان لهـذه الصـدقات والأمـوال انعكاس على استقرار الحالة المعيشية للسكان وخاصة العلمـاء وطـلاب العلـم الـذين بـدأوا يتفرغـون للتـدريس ونشر العلم، بعد أن وفر لهم العثمانيون الجو الملائم، ويشير النهروالي إلى أن السلطان سليمان القانوني كان يزيـد علـى مـا يرسـله مـن الأوقـاف العثمانيـة شـيئاً مـن خزائنـه الخاصـة ينفقـه علـى العلمـاء والمشـائخ مـن أهـل الحرمين وأن هذه الخيرات واستمرار هذه الإيرادات لـم يشـهد لهـا الحرمـان مثـالاً ممـن سـبقهم مـن السـلاطين والخلفاء والملوك العظماء في أي زمن من الأزمان[35].

2 – الأوقاف العثمانية:

إن الأموال التي كانت ترسل مع صرتي مكة والمدينة تصرف على العلم وقراءة القرآن وتحفيظه للصبيان، فإنه إضافة إلى الأوقاف الموجودة زمن المماليك للحرمين الشريفين فقد أضاف العثمانيون أوقافاً جديدة وذلك منذ عهد السلطان سليم الأول وسليمان القانوني ومن أهم هذه الأوقاف:

أ – وقـف الدشيشـة[36] الكبـرى: حيـث بلـغ مقـدار مـا أرسـل سـنة 991هـ / 1591م عشـرة آلاف أردب

من الغلال وأضاف السلطان مراد الثالث (982 – 1003هـ) أوقافاً أخرى ليرتفع المقدار إلى ستة آلاف أردب[37].

ب – وقف الدشيشة الصغرى: ريع الحبوب وهو ريع نقدي يرسل إلى الحرمين[38].

ج – وقف المحمدية [39]: ويدر ريعاً نقدياً وريعاً من الحبوب[40].

د – وقف الدشيشة المرادية: أوقفه السلطان مراد الثالث سنة 997هـ / 1589م وكان يتكون من عدد كبير من القرى في أقاليم مصر المختلفة . على تحفيظ القرآن الكريم في المدينة المنورة، بالإضافة إلى قراءة أجزاء من القرآن في مكة المكرمة[41]، لقد كانت الأوقاف العثمانية كثيرة وعامرة استطاعت أن تغطي احتياجات الحرمين بل وتزيد عليها، وهي مدار معيشة أهل الحرمين الشريفين[42]. وكان للأوقاف العثمانية أثر في انتعاش الحياة العلمية لأنه من خلالها يتم الإنفاق على العلماء والطلاب، وتلبية احتياجات المدارس والكتاتيب والمساجد من الأموال اللازمة لإدارة شؤونها ولولاها لما شهدت الحركة العلمية هذا الانتعاش.

3 – التوسع في بناء المدارس:

من أهم الشواهد الدالة على اهتمام العثمانيين بالحياة العلمية هو قيامهم بالتوسع في إنشاء المدارس، استكمالا لما كان في عهد المماليك، ومن أبرز هذه المدارس ما يسمى بالمدارس السليمانية الأربع وذلك بعدد المذاهب الإسلامية الأربعة التي بناها السلطان سليمان القانوني في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وقد تسابق الحكام في إنشاء المدارس حتى وصل عددها في عهد العثمانيين إلى أربعين مدرسة في مكة وحدها وفي المدينة مائة وثمانية عشرة مدرسةً، وجميعها مرتبطة بالصرة العثمانية[43]. كما أن ما يميز المدارس العثمانية تخصيص مبالغ أو رواتب للمدرسين والطلاب في هذه المدارس، وكذلك اشتراط من يتولى التدريس فيها وخاصة المدارس السليمانية ممن كان يتولى منصب الإفتاء[44].

4 – تخصيص رواتب للأئمة والخطباء والمفتين:

من مميزات العصر العثماني اهتمامه بالعلماء والأئمة والمفتين من خلال تخصيص لهم أعطيات ورواتب، حيث" :كان للخطباء والأئمة بمكة لكل منهم عثماني ونصف في كل يوم، فعيّن أربعة من الخطباء، حنفيين وشافعيين، وجعل لكل واحد أربعين عثمانياً في كل يوم "كما أنه لم يكن في السابق أي إعانات للمفتين فأعطي لمفتي مكة في عهد السلطان مراد الثالث عبد الكريم القطبي وجعل له من بيت المال خمسين عثمانياً في كل يوم[45].

ثالثاً: التغيير المذهبي في الحرمين الشريفين:

لقد كان في مكة أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة لأهل السنة والجماعة وإن كان معظم المسلمين منذ العصر العباسي يعتنقون المذهب الشافعي ولذلك كان القاضي الشافعي هو الذي يتقلد المرتبة العليا[46].

كما كان المذهب السائد والمعمول به في الأحكام في المدينة المنورة في العصرين الفاطمي والأيوبي وأوائل العصر المملوكي هو المذهب الجعفري أو الإمامي الاثنا عشري مع وجود بعض القضاة من أهل السنة والجماعة خلال تلك الفترة، ثم بدأ مذهب أهل السنة يتعزز بسبب دعم السلطة المملوكية وهؤلاء القضاة السنة كانوا أساساً قضاة في مكة انتدبوا لتولي القضاء في المدينة [47]. مما يعني أنهم كانوا شافعي المذهب كونه كان سائداً في مكة خلال تلك الفترة.

ولكن بعد أن دخلت الحجاز تحت النفوذ العثماني حاول العثمانيون جاهدين على إحداث تغيير مذهبي من خلال فرض المذهب الحنفي على بقية المذاهب الأخرى وجعله يحتل مكانة متقدمة على بقية المذاهب

ففي سنة 924هـ / 1518م اجتمع قائد المحمل الرومي (مصلح الدين) بالقضاة الأربعة في مقام الحنفية بالمسجد الحرام وتشاور معهم بخصوص هدم مقام الحنفية القائم واستبداله بمقام جديد ذي قبة عالية تقوم على أربعة أعمدة، أعترض القضاة على هذه الفكرة وأشاروا له أن هذا منكر، غير أنه اجتمع بهم للمرة الثانية في مسكنه بالمدرسة الأشرفية القايتبائية وطلب منهم أن يبدو رأيهم بالجواز أو الكراهة وأنه سوف يراجع فيه السلطان سليماً، ولكن قضاة الحنفية أشاروا له بأن هناك فتوى تجيز ذلك قال بها أبو البقاء الحنفي، حينها عزم مصلح الرومي على تنفيذ مشروعه فحفر الأساس عند البناء القديم بزيادة ذراعين إلى أن أوصله بحاشية المطاف[48]. إن هذا الإجراء من قبل العثمانيين أول عهدهم يدل على أنهم عازمون على إحداث تغيير في الاعتقاد المذهبي، وكانت البداية هي تمييز المقام الحنفي وجعل له قبة كبيرة تقوم على أربعة قوائم كما تم تبليط مقام الحنفية بحجر صوان أسود وبنى محرابه أمام القبة ملاصق بحاشية المطاف وتقدمته إلى وسط الحاشية ليقطع الصف الأول من الصلاة خلف إمام الشافعية[49].

ومن الشواهد الدالة على تمييز المذهب الحنفي أنه كان يصلي الحنفي والشافعي صلاة المغرب في المسجد الحرام في وقت واحد معاً فيحصل بذلك تشويش على المصلين، فعرضت المسألة على السلطان سليمان القانوني في سنة 931هـ / 1525م، فأمر بالنظر في هذه المسألة فأجتمع علماء مكة والأمير علي بك صاحب جدة، واقتضى رأيهم أن يتقدم الإمام الحنفي في صلاة المغرب وعند تشهده الأخير يدخل إمام الشافعية في صلاته[50]. ومنذ عام 943هـ / 1536م بدأت الدولة العثمانية ترسل القضاة الأحناف إلى مكة بدلاً عن القضاة من آل الطبري، والظهيريين والنوريين[51]، أما المدينة المنورة فقد انتهزت الدولة العثمانية وفاة قاضي قضاة المدينة الشافعي الشيخ عبدالله السمهودي عام 945هـ / 1538م فأرسلت قاضياً حنفياً تركياً من العاصمة التركية يدعى محي الدين حليم أغلي الرومي[52]. كما أن العثمانيين كانوا يصدرون فتاوى حنفية من العاصمة التركية ويتم تعميمها على الحرمين، مثل الفتوى الخاصة بتصفيح باب الكعبة المشرفة من قبل مفتي السلطان ويدعي أبو السعود أفندي[53] ولقد كان قاضي مكة المكرمة ينفذ الأحكام الشرعية وفق المذهب الحنفي وكانت المحكمة الحنفية تسمى المحكمة الكبرى ، وقد صدرت أوامر سنة 973هـ/1565م بأن تسلم المحاكم الشافعية والمالكية والحنبلية سجلات الدعاوي التي نظرت فيها إلى المحكمة الحنفية أي المحكمة الكبرى وأن يتشاور قضاة المذاهب الثلاثة مع القاضي الحنفي في الدعاوي الكبيرة والمهمة [54]. مما سبق يتضح لنا أن العثمانيين عملوا جاهدين على إحداث تغيير مذهبي في الحجاز عامة لصالح المذهب الحنفي.

رابعاً: المكتبات:

تمثل المكتبات جزءاً مهماً من الحياة العلمية والتعليمية في الحجاز بعامة والحرمين بشكل خاص فقد احتوت أغلب المدارس على مكتبات تضم أهم الكتب والتي تحوي كافة المعارف من كتب التراث الأولى وفي العلوم الإسلامية والعربية، وكانت هذه المكتبات من أهم روافد المعرفة وكان لكل مكتبة موظفون من أصحاب الخبرة في ترتيب وتصنيف الكتب[55]. ولقد رافق إنشاء المدارس تزويدها بما يحتاج إليه طلاب العلم من الكتب التي هي مدار الدرس وتتابع العطاء من قبل القادرين عليه حتى أصبحت هناك خزائن غنية بالكتب بما تحتويه من صنوف العلم وذلك في أغلب المدارس[56]. ومن أشهر المكتبات في مكة المكرمة:

مكتبة السلطان قايتباي ومكتبة السلطان سليمان القانوني في مدارسه الأربع، ومكتبة الشيخ إبراهيم الزمزمي وكان بها أنفس الكتب ولكن تبعثرت مقتنياتها سنة 1196هـ / 1782م[57].

ومن مكتبات المدينة المنورة:

مكتبة السلطان قايتباي في مدارسه وقد ضمت إلى خزانة الحرم النبوي الشريف، ومكتبة السلطان سليمان القانوني، ومكتبة المدرسة الحميدية، ومكتبة عمر قرة باشا[58].

المؤسسات العلمية في الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري:

أولاً : الكتاتيب:

مفردها كتَّاب وهو موضع تعليم القراءة والكتابة ويُعد من أهم مراكز تعليم وتثقيف الصغار في المجتمع الإسلامي وتلك الكتاتيب معروفة وموجودة قبل ظهور الإسلام وكان الهدف منها سابقاً تعليم القراءة والكتابة فقط [59].

وقد انتشرت هذه الكتاتيب في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف لذلك كان كثيراً من المعلمين بالحرمين الشريفين يتخذون من زوايا المسجد الحرام والمسجد النبوي وأطرافهما مكاناً لمكاتبهم، كما كانت هذه الكتاتيب ملحقة بالمدارس[60].

أنشأ الواقفون على مكاتب الصبيان في إبان العصر العثماني الأوقاف وكانت هذه المكاتب يطلق عليها المكاتب العامة وهي للأطفال غير القادرين على دفع أجرة المعلم الذي يتولى تدريسهم، أما القادرون على دفع أجرة المعلم فيطلق عليها المكاتب الخاصة ومن أشهر المكاتب الخاصة في مكة المكرمة في القرن العاشر الهجري كتَّاب الشيخ محمد الجناجي الذي يقوم بتعليم أبناء أصدقائه من الحجازيين وأهل اليمن دون أجر[61]. أما المكاتب العامة فهي تلك التي كانت لها أوقاف ترسل لها سنوياً إلى الحجاز حيث كان المحفظون والصبيان تصرف لهم الرواتب السنوية التي تعينهم على الدراسة حتى يتفرغوا للعلم وكانت طريقة الصرف على هذه المكاتب العلمية ثابتة إذ كانت محددة سلفاً من قبل الواقف الذي أنشأ المكتب [62].

اهتم العثمانيون بهذه المكاتب وأوقفوا لها الأوقاف وكانت المكاتب بنايات خاصة محكمة البناء وعالية الارتفاع ووضعوا لها شروطاً مثل ألاّ يكون أطفال المكتب أقل من خمسين طفلاً من أطفال الفقراء والأيتام، كما تم تعيين شخص يدعى عريفا وهو في درجة المساعد للمعلم، وخصص للأطفال والمعلمين والعريف ما يحتاجونه من الطعام والكساء، والألواح، والحبر، وجميع لوازم المكتب[63] حيث خصص السلطان مراد لكل صبي من الخمسين ثلاثة دنانير في السنة[64].

من أشهر مكاتب مكة المكرمة:

مكتب قايتباي الذي أنشأه السلطان المملوكي الأشرف قايتباي والذي ظل قائماً حتى العصر العثماني. ومكتب مراد باشا، ومكتب أيتام ناظر وقف أمير الحاج المصري والتي كانت أوقافه من قبل السلطان سليم الأول [65].

أشهر مكاتب المدينة المنورة:

مكتب السلطان قايتباي، ومكتب السلطان مراد الثالث، ومكتب والدة السلاطين وينفق عليه من وقفها في الحرمين الشريفين [66]. كان منهج التعليم في الكتاتيب هو أن يحفظ الصبي القرآن الكريم ودروساً في الحديث الشريف يتناسب مع استيعاب الأطفال فضلاً عن المعارف الأخرى، فيتعلمون القراءة والصلاة ويؤمرون بها. في أوقاتها ، ويتعلمون الضبط بالشكل والإملاء، كما كانوا يتلقون الآداب والسلوك مثل الفضيلة، والأخلاق والآداب في المعاملة مثل: احترام الوالدين والبّعد عن سيئ الأفعال والكلام، وإذا حفظ الصبي

القرآن احتفل به احتفالاً كبيراً في المكتب، وكان سن الالتحاق بالمكتب يتراوح بين الرابعة، والسابعة، كما كان الإشراف الصحي قائماً حيث كان يوجد ثمانية أطباء في مكة للإشراف على القراء، والمعلمين والصبيان في المسجد الحرام وخصص لهم رواتب[67].

ثانياً : المدارس:

تسابق السلاطين العثمانيون والأمراء والمقتدرون من العلماء وغيرهم في إنشاء المدارس، فتعددت وزادت العناية بها. والمدرسة هي بناء مجهز لسكن المعلمين والدارسين للعلم الشرعي، ومعظم هذه المدارس يتم الإنفاق عليها من عائدات الأوقاف ويرصد ريعها لدفع رواتب القائمين عليها من طلبة ومدرسين[68].

حرصت الدولة العثمانية على الاهتمام بهذه المدارس وزيادة أعدادها فقد وصف الرحالة أوليا جلبي هذه المدارس ومدى كثرتها وذكر بأنها مبانٍ عالية محاطة بالحرم حيث يصل عددها على جوانب الحرم إلى أربعين مدرسة عظيمة وأن هذه المدارس تعكس مآثر المهندسين المعماريين في عهد السلطان سليمان خان، وأن لها تأثيراً في مواسم الحج حيث تعمل هذه المدارس على إيواء الحجاج، كما أن المدرسين والطلبة وغيرهم يقومون بوظيفة الإرشاد وتقديم الخدمات لحجاج بيت الله الحرام[69]

كما لها وظيفة اجتماعية أخرى فهي ملجأ المرتادين والمعوزين، فقد كان يجد بها العالم والمتعلم والعابد والمعوز الغذاء العلمي والروحي والمادي، والمأوى وذلك لما يلقى فيها من دروس علمية، وما كانت تقدمه من رواتب نقدية للمدرسين والطلبة وبقية العاملين بها [70].

ومما يميز هذه المدارس في العهد العثماني تميزها بالنشاط والحركة لأن الفتوحات العثمانية أدت إلى كثرة الوافدين على الحرمين ومن ثم ازداد عدد العلماء الذين طاب لهم المقام في المجاورة لبيت الله الحرام [71].

كما أن المدارس السليمانية الأربع التي أنشأها السلطان سليمان القانوني[72] قد دفع بالحركة العلمية إلى ميادين أكثر تطوراً حيث اشترطت من يقوم بالتدريس فيها أن يكون ممن يتولى منصب الإفتاء حيث إن هذا المنصب يشترط فيه أن يكون من أعلم الفقهاء الحنفية في مكة المكرمة ولهذا تولى الشيخ عبد الرحمن المرشدي الحنفي مهنة التدريس في المدرسة السليمانية، وعلى الرغم من ذلك. فقد تولى مشيخة المدرسة السليمانية الشيخ قطب الدين النهروالي وهو شافعي المذهب[73].

كما أن العثمانيين خصصوا الأوقاف الكثيرة وخصصوا رواتب للمدرسين والطلاب وكل هذا خلق جواً من الاستقرار النفسي للتفرغ في طلب العلم[74]، ومن الملاحظ أيضاً في تلك الفترة – القرن العاشر الهجري – ندرة وجود علماء المذهب الحنبلي، مما دفع بالعثمانيين إلى تحويل المدرسة التي كان منتظر فيها تدريس المذهب الحنبلي إلى مدرسة لتدريس علم الحديث لعدم وجود الشخص المؤهل لتدريس هذا المذهب[75].

من أشهر المدارس في مكة المكرمة:

المدرسة الأشرفية التي أنشأها السلطان الأشرف قايتباي المملوكي سنة 884هـ / 1479م والتي استمرت في أداء وظيفتها في القرن العاشر الهجري [76].

المدرسة الباسطية التي أنشأت سنة 826هـ/ 1423م وظلت تمارس وظيفتها في القرن العاشر الهجري[77] وكذلك المدرسة الجمالية حيث ذكر جار الله بن فهد بأنها تعرضت أسقفها للهدم سنة 925هـ [78]، 1518م ومن مدارس مكة المكرمة المدرسة المرادية التي بناها السلطان مراد الثالث وعرفت باسمه وعين السلطان مراد لهذه المدرسة مدرساً وعشرة من الطلاب، وكان يدفع للمدرس راتباً سنوياً قدره (150) ديناراً ذهباً وللطالب عشرة دنانير ذهباً سنوياً[79].

ومن أهم المدارس العثمانية في مكة المدارس السليمانية الأربع وهي من آثار السلطان العثماني سليمان القانوني وتدرس المذاهب الأربعة، حيث اختير الجانب الجنوبي من المسجد الحرام المتصل من ركن المسجد الشريف، وقد أُقيمت هذه المدارس على أنقاض البيمارستان المنصوري، ولم يكتمل بناء هذه المدارس إلا في عهد السلطان سليم الثاني[80].

وهذه المدارس الأربع هي:

1 – المدرسة المالكية السليمانية: وهي أرقى المدارس الأربع، عين عليها القاضي حسين الحسيني، وجُعل له خمسين عثمانياً، ثم رقي إلى مائة عثماني.

2 – المدرسة الشافعية السليمانية: درس فيها علماء الشافعية ويدرس الفقه الشافعي وأعطيت للمدرسين فيها خمسين عثمانياً.

3 – المدرسة الحنفية السليمانية: وعين عليها الشيخ القطبي مدرساً عليها وأعطيت خمسين عثمانياً وذلك سنة 975هـ / 1567م.

4 – المدرسة الرابعة وكان من المفترض أن يدرس فيها المذهب الحنبلي ولعدم وجود عالم في الفقه الحنبلي جُعلت داراً للحديث يقرأ فيها الصحاح الستة [81].

أما مدارس المدينة المنورة:

مدارس السلطان قايتباي التي أنشأها مع مدارسه في مكة وهي على شكل القاعة بأربعة أواوين كلها بالحجارة المنحوتة الملونة وفيها الخلوات للطلبة [82] .

ومن المدارس أيضاً المدرسة السنجارية، وهي دار سيدنا أبي بكر الصديق وتعرف باسم السنجارية، ويتعلم فيها أهل المدينة والوافدين إليها.[83] ومن المدارس أيضاً المدرسة الباسطية والمدرسة الأزكجية اللتان استمرتا في أداء مهامها في القرن العاشر الهجري [84].

ثالثاً: حلقات الدرس في الحرمين الشريفين:

أثر المسجد الحرام والمسجد النبوي تأثيراً كبيراً في نهضة العلم والتعليم ليس في عهد الرسول ﷺ فحسب بل في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم وحتى العصور المتأخرة ، ولهذا كان الاهتمام بالحرمين الشريفين من خلال تجديد بنائهما[85]. وإنشاء المدارس المختلفة بجوارهما وهذا أدى بإسهامه إلى انتعاش الحركة العلمية. ولقد كان كثير من العلماء يرون أن التدريس بالمسجد الحرام أو المسجد النبوي أفضل من التدريس في المدارس وأجزل نفعاً وأعظم أجراً، كما أن التدريس في المساجد لا يحتاج إلى أمر تعيين أو تكليف لمن يقوم به، وإنما عمل اختياري عكس التدريس في المدارس، كما أن الطلاب في المساجد ليس عليهم قيود أو شروط كما هو الحال في المدارس، فالمساجد مفتوحة أمام كل طالب علم وما عليه إلا الانضمام إلى إحدى الحلقات المنتشرة في المسجد [86]. هذا بالنسبة للعلماء غير المعتمدين للتدريس أما المعتمدون للتدريس والذين يتلقون رواتب تأتي مع الصرة فإنه كان لا يسمح لهم بالتدريس حتى يحصلوا على إذن حيث كان العالم يتعرض لامتحان يحضره كبار العلماء من الحرمين حيث يحدد شيخ العلماء موعداً في الحرم بعد صلاة الظهر أو العصر ويتولى شيخ العلماء أو نائبه مع عدد من العلماء الآخرين امتحانه فيجلسونه على رأس حلقة دائرية يحضرها العلماء تبين مدى إحاطته بعلوم اللغة والفقه وبقية العلوم الشرعية [87].

تعقد أماكن التدريس في المسجد الحرام في أروقته وعند المقامات الأربع وعند مقام إبراهيم، وحجر إسماعيل، وعند الأبواب الرئيسية للبيت الحرام، وصحن المسجد الحرام، أما المسجد النبوي فتعقد عند أبواب المسجد وفي الروضة الشريفة، وخلف الأعمدة، وداخل الأروقة، وفي الحجرة النبوية، وعند المنبر[88].

أما أوقات التدريس في المسجد الحرام والمسجد النبوي، فقد كان العلماء هم الذين يختارون الوقت

المناسب بحيث لا يصطدم مع جداولهم الدراسية إذا كان مرتبطاً بدروس في المدارس[89]. وكانت الدراسة تتوقف في الأعياد والمناسبات مثل عيد الأضحى وعيد الفطر [90]. كما أن الدراسة تتوقف في الحرمين أيام موسم الحج حيث ذكر العياشي في رحلته بقوله: "كان من عادة أهل المدينة إذا كان اليوم السابع عشر من ذي القعدة ويسمونه الكنيس جمعت بسط الحرم الشريف كلها وأدخلت المخازن فلا يبقى في المسجد إلا الحُصر، وأدخلت المصاحف التي في المسجد والسبحات إلى الروضة ورد كل من استعار كتاباً إلى صاحبه أو إلى ناظر الخزانة التي أخذه منها... ويكنس الحرم الشريف في ذلك اليوم وفيه يكنس البيت العتيق بمكة أيضاً وأيام موسم أهل الحرمين الشريفين فيها يجمعون غالبا أمور معاشهم، فلا يتفرغ أحد للتدريس ولا عبادة إلا ما لابد منه فإذا انقضت أيام الموسم وذهب الركبان الواردة من الآفاق ولم يبق بالحرمين إلا أهلها رجعوا إلى معتاد حالهما في الأمور الدينية من القراءة والتدريس وأنواع العبادات". كما أن الدراسة في المسجد النبوي تتوقف يومي الثلاثاء والجمعة وهي إجازة للطلاب والمدرسين [91]. ولقد كانت الحلقات تدرس علوم عدة منها القراءات، والتفسير، والحديث والفقه، وعلوم اللغة العربية والعلوم العقلية.

أشهر حلقات الدرس في الحرمين الشريفين:

حلقة الشيخ علي بن سعيد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ت 910هـ/ 1504م درس فيها الفقه والحديث، مع توليه منصب القضاء بالمدينة المنورة [92].

ومنها حلقة الشيخ نور الدين علي بن عبد الله السمهودي المتوفى سنة 911هـ[93]. 1506م ومنها حلقة الشيخ أحمد بن محمد الكازروني المتوفى سنة 920هـ / 1514م حيث كان يدرس بالمسجد النبوي الفقه الشافعي، وكان يجلس للإقراء من بزوغ الشمس إلى قبيل الظهر، ثم يرجع إلى منزله ويطالع الكتب ثم يعود ويقرأ بعد الظهر إلى العصر ومن العصر ساعة واحدة ويبقى بالمسجد ويكون آخر الناس خروجاً[94].

ومن الحلقات بالمسجد الحرام حلقة الشيخ زكريا الأنصاري المتوفى سنة 926هـ / 1520م يدرس فيها الفقه، والحديث والنحو والفرائض والجبر[95]. ومنها حلقة الشيخ محمد الجناجي المتوفى سنة 935هـ / 1529م في الحرم المكي ويقرآ كتاب الموطأ والشفاء وغيرها [96].ومن الحلقات بالمسجد الحرام حلقة الشيخ أحمد ابن حجر الهيثمي المصري المتوفى سنة 974هـ / 1565م ويدرس في عدة حلقات منها لتدريس صحيح البخاري حتى اشتهر بلقب قارئ البخاري – وأخرى لتدريس فقه الشافعي واللغة العربية وصحيح مسلم[97].

وحلقة الشيخ عبد الله بن أحمد باكثير سنة ت 925هـ / 1519م حيث كانت له عدة حلقات في الحرم المكي طوال اليوم [98] وحلقة الشيخ عبد الحق بن محمد السنباطي المتوفي سنة 931هـ/ 1525م الذي أشتهر بعلو الإسناد [99]. ومن حلقات الحرم المكي كذلك حلقة الشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني المتوفى سنة 977هـ/ 1568م ودرس في الحرم المكي" شرح على مغني المحتاج "بالإضافة إلى تفسيره المسمى" السراج المنير "[100]. ومنها كذلك حلقة الشيخ ابن القاسم المصري المتوفى سنة 992هـ / 1584م بالمسجد النبوي الشريف.

الخاتمة:

نستخلص من هذه الدراسة عدداً من النتائج أهمها:

1- إن فترة عصر المماليك شهدت نهضة علمية واسعة تمثلت في إنشاء العديد من المؤسسات العلمية مثل المدارس، والكتاتيب وحلقات الدرس في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

2- أوضحت الدراسة بأن العثمانيين كان لهم أثر كبير ومهم في تطور الحركة العلمية في الحرمين حيث واصلوا ما بدأه المماليك وأضافوا إلى الحياة العلمية زخماً أكبر من خلال التوسع في إنشاء المدارس وأهم شاهد عليها ما يسمى بالمدارس السليمانية الأربع التي أنشأها السلطان سليمان القانوني.

3- كان للدعم المالي الذي قدمه العثمانيون في القرن العاشر الهجري أثر مهم في انتعاش الحياة العلمية في الحرمين الشريفين مثل) الغلال – الصدقات – الصرة العثمانية – والأوقاف حيث شهد العصر العثماني الإكثار من الأوقاف التي دعمت الحياة العلمية.

4- بينت الدراسة بأن العثمانيين قاموا بمحاولات حثيثة لإحداث تغيير مذهبي في الحرمين الشريفين خاصة والحجاز بشكل عام من خلال دعم المذهب الحنفي وجعله في مقدمة المذاهب الأخرى.

5- أظهرت الدراسة غياب أثر أشراف مكة والمدينة في دعم الحياة العلمية فلا نلحظ أي اهتمام أو دعم للحركة العلمية في الحرمين الشريف من الأشراف.

6- أبدى العثمانيون اهتماما متزايداً بالعلماء والأئمة والمفتين وتخصيص العطايا والمرتبات لهم حتى يتفرغوا للتعليم والتأليف.

7- أظهرت الدراسة بأن لحركة المجاورة والمجاورين أثر كبير في نهضة الحياة لعلمية في الحرمين سواء في قيامهم بالتعليم في المدارس أو تزعمهم لحلقات الدرس في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

الهوامش:

(1) عبد الرحمن مديرس المديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2001م، ص245.

(2) خالد محسن الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2005م. ص116.

(3) النجم عمر بن محمد إبن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم شلتوت مطبوعات مركز البحث العلمي – جامعة أم القرى، جدة، دار المدني، 1984م، ج3، ص 634

(4) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص123.

(5) محمد بن أحمد بن محمد النهروالي، كتاب الإعلام بأعلام بين الله الحرام، تحقيق: هشام عبد العزيز ا لمكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط1، 1996م ص 252.

(6) يعد السلطان المملوكي قايتباي الذي حكم مصر (872- 901هـ / 1468- 1496م) من أكثر السلاطين المماليك اهتماماً بشئون الحرمين الشريفين حيث قام بالعديد من الإصلاحات والترميمات في المسجد الحرام خلال عهده، وإعادة مسجد الخيف بمنى ومسجد نمرة بعرفات وتشييدة مدرسة إلى جوار المسجد الحرام أنظر التفاصيل : ابن فهد، إتحاف الورى، حوادث سنين القرن التاسع الهجري)

(7) عبد الباسط بدر، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة – العدد الخامس – يونيو – أغسطس 2003م، ص 51.

(8) منى حسن آل مشاري، المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ص 33.

(9) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص 146.

(10) محمد بن علي الطبري، إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق: محسن محمد سليم، دار الكتاب الجامعي، ط1، (د.ت). ج1، ص 362.

(11) محي الدين عبد القادر العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر(د.ت). ص 16- 19

(12) المرجع نفسه ص58 – 59.

(13) العيدروس، النور السافر، ص 125-126.

(14) نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق : جبرائيل سليمان جبور، المطبعة الأمريكانية، بيروت 1945م،ج1، ص217.

(15) المرجع نفسه، ج1، ص196- 203.

(16) الغزي، الكواكب السائرة، ج1، ص 221-222، الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج1، ص 418.

(17) الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج1، ص 480.

(18) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص 168.

(19) أحمد السباعي، تاريخ مكة، مطابع قريش – 1385هـ، ج2، ص 106

(20) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص 192-193.

(21) تقي الدين الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م ج2، ص 79

(22) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص 200

(23) محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر بيروت (د. ت) ج3، ص8 .

(24) السباعي، تاريخ مكة، ج2، ص106

(25) محمد الأمين المكي، خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ترجمة: د/ ماجدة مخلوف، دار الأوقاف العربية، مصر، ط2، 2005م، ص 8.

(26) كانت الدولة العثمانية ترسل سنوياً مع قافلة الحج المصري مبلغاً كبيراً من المال يسمى الصرة ، ويشرف عليها أمير المحمل ترافقه قوة حربية لحمايته ، وتوزع على فئات معينة من سكان الحرمين، آمال رمضان، الحياة العلمية في مكة المكرمة 1115- 1334هـ)مركز تاريخ مكة المكرمة 1432هـ، ج1، ص65 .

(27) المطيري، نبيلة بنت سعود، الحياة العلمية في مكة المكرمة 1228، 1256هـ رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ص 22.

(28) هو السلطان سليم الأول بن بايزيد الثاني، تولى الحكم بعد والده سنة(903هـ / 1512م) قضى مدة حكمه في الفتوحات الخارجية في اوربا وبعض المناطق العربية في مصر والشام، وبسط نفوذه على الحجاز توفي سنة (926هـ/ 1520م) صديق، المرجع السابق، ج1، ص24.

(29) محمد بن أحمد بن محمد النهروالي، كتاب الإعلام بأعلام بين الله الحرام، تحقيق: هشام عبد العزيز ا لمكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط1، 1996م ص 292

(30) الأردب : مكيال مصري للحنطة يسع أربعة وعشرين صاعاً أو ست وبيات كل وبية ثمانية أقداح كبيرة أو ستة عشرة قدحاً كبيراً ويصعب تحديده بدقة، السنجاري، منائح الكرم، ج3، هامش ص 236.

(31) محمد بن علي الطبري، ، إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق: محسن محمد سليم، دار الكتاب الجامعي، ط1، (د.ت). ج1، ص 365.

(32) المكي، خدمات العثمانيين، ص 33.

(33) البار: تقدر بربع المليم وفي النظام الحميدي أصبحت البارة قطعة من العملة النحاسية وقيمتها من القرش العثماني التركي شاهينن عزة بنت عبد الرحيم، خدمات الحج في الحجاز خلال العصر العثماني، ص96.

(34) عبد الكريم القطبي، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، دار الرفاعي للنشر – الرياض – ط1، 1983م، ص 147.

(35) النهروالي، الإعلام، ص 336.

(36) كان يطلق على أوقاف الحرمين الشريفين أوقاف الدشايش نسبة إلى نوع من أنواع الحبوب كان يصرف لأهالي الحرمين، صديق المرجع السابق ج2، ص574.

(37) عزة بنت عبد الرحيم، شاهين، خدمات الحج في الحجاز خلال العصر العثماني، دار القاهرة للنشر، ط1، 2006م، ص 117.
(38) المرجع نفسه ص130.
(39) يعود هذا الوقف إلى السلطان محمد الثالث بن مراد بن سليم الثاني، إذ أوقف مجموعة كبيرة من القرى بمصر للإنفاق على الأهالي والفقراء في مكة المكرمة، صديق، المرجع السابق، ج2، ص576.
(40) المرجع نفسه ص132.
(41) بيومي، محمد علي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني – دار القاهرة– مصر، ط1، 2006م،ص 136
(42) النهروالي – الإعلام، ص 336.
(43) بيومي، دور مصر في الحياة العلمية، ص 205
(44) بيومي، دور مصر في الحياة العلمية، ص 207
(45) علي بن تاج الدين السنجاري، منائح الكرم في أجنار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق د/ جمال عبدالله المصري،جامعة أم القرى،ط1، 1998م ج3، ص 497
(46) سنوك، هورخرونيه،صفحات من تاريخ مكة المكرمة، تحقيق : د/ علي عودة الشيوخ، دارة الملك عبد العزيز، 1999م، ج1/ ص 212.
(47) المديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص 188.
(48) جار الله ابن فهد، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، ط1، 2000م، ج1، ص 41
(49) المرجع نفسه ج1 ص 75
(50) الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج1، ص 420
(51) المرجع نفسه ج1 ص424
(52) عويضة الجهني، سلطة أشراف مكة في المدينة المنورة خلال القرن العاشر الهجري، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد السادس عشر، السنة الثامنة ذو القعدة 1428هـ/ نوفمبر 2007م ص 86.
(53) الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج1، ص 488.
(54) إسماعيل حقي جارشلي، أشراف مكة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمة عن اللغة التركية: د/ خليل علي مراج، الدار العربية للموسوعات، ط1، 2003، ص 114.
(55) بيومي، دور مصر في الحياة العلمية، ص 225
(56) فواز بن علي الدهاس، المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، مجلة الجمعية التأريخية السعودية – العدد الثاني – السنة الأولى – يوليو 2000م ص 80
(57) بيومي، دور مصر في الحياة العلمية، ص 225–226
(58) بيومي، دور مصر في الحياة العلمية، ص 226.
(59) عبد اللطيف ابن دهيش، الكتاتيب في الحرمين وما حولهما – جامعة الملك سعود، ط2، الرياض 1991م ص 12.
(60) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص 314.
(61) بيومي، دور مصر في الحياة العلمية، ص 193.
(62) المرجع نفسه ص193
(63) القطبي، إعلام العلماء، ص 149.
(64) بيومي، دور مصر في الحياة العلمية، ص 195.
(65) المرجع نقسة ص195
(66) المرجع نقسة ص200
(67) المرجع نقسة ص202
(68) هو رخرونية، صفحات من تاريخ مكة المكرمة ج1، ص 91
(69) جلبي، أولياء،الرحلة الحجازية، ترجمة: الصفصافي أحمد، دار الأوقاف العربية، بالقاهرة (د.ت) ص 265
(70) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص 369.
(71) عبد الله، عبد الرحمن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق للنشر والتوزيع جدة، ط1، 1982م، ص 75.
(72) هو السلطان سليمان الأول بن سليم الأول جلس على كرسي الحكم سنة 926هـ / 1520م وصلت الدولة العثمانية في عهده إلى أقصى اتساعها، كانت له خيرات كثيرة عم بنفعها المسلمين، واشتهر بالقانوني لما وضعه من الأنظمة الداخلية في جمع فروع الدولة ، توفي سنة(974هـ / 1566م) صديق المرجع السابق ،ج1، ص149
(73) النهروالي، الإعلام، ص 352.
(74) النهروالي، الإعلام، ص 352، العصامي، سمط النجوم، ج4، ص 100.
(75) النهروالي، الإعلام، ص 354.
(76) جار الله بن فهد، نيل المنى، ج1، ص 33– 41– 43
(77) المرجع نفسه، ج1، ص 325
(78) المرجع نفسه، ج1، ص 325.
(79) المرجع نفسه ج1، ص 325.
(80) النهروالي، الأعلام، ص 351.
(81) النهروالي، الأعلام، ص 352– 354.
(82) بيومي، دور مصر في الحياة العلمية، ص 217، المديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص 253.
(83) بيومي، دور مصر في الحياة العلمية ص 219.
(84) المديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص 254.
(85) إن ما صرفه السلطان سليمان القانوني في عمارته للمسجد الحرام وإنشاء المدارس الواقعة في الجهة الشمالية والمنارة التي في وسطها، وبلاط عموم المسجد الحرام، وعمارة مقام سيدنا إبراهيم تبين لنا مدى الاهتمام البالغ لهذه المشاريع حيث صدر مرسوم سلطاني في القرن العاشر الهجري بإنفاق مائتي وعشر آلاف ذهب خالص من الأموال = السلطانية الخاصة على هذه الإنشاءات بالإضافة إلى الرواتب، (خدمات الحج في الحجاز، ص 117، المكي، خدمات العثمانيين في الحرمين، ص40.
(86) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص 330.
(87) بيومي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، ص 252
(88) المرجع نفسه، ص 254.

(89) أمحزون، محمد المدينة المنورة في رحلة العياشي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ص 209

(90) المرجع نفسه 218.

(91) المرجع نفسه 35.

(92) بدر عبد الباسط، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي– مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة – العدد الخامس – يونيو – أغسطس 2003م، ص77.

(93) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، طبع بإشراف أسعد طرابزوني، 1979مج1،ص233.

(94) العيدروس، محي الدين عبد القادر، النور السافر عن أخبار القرن العاشر(د.ت). ص122.

(95) المرجع نفسه ص199.

(96) المرجع نفسه ص287.

(97) العيدروس، النور السافر، ص 125، الغزي، الكواكب السائرة، ج1، ص 217

(98) الطبري، إتحاف فضلاء الزمن، ج1، ص 418.

(99) الغزي، الكواكب السائرة، ج2، ص 92.

(100) المرجع نفسه ج3، ص 111.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن فهد، جار الله، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان – ط1، 2000م.

2- ابن فهد، النجم عمر بن محمد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم شلتوت مطبوعات مركز البحث العلمي – جامعة أم القرى، جدة، دار المدني، 1984م.

3- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، طبع بإشراف أسعد طرابزوني، 1979م.

4- الطبري، محمد بن علي، إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق: محسن محمد سليم، دار الكتاب الجامعي، ط1 (د.ت).

5- الفاسي، تقي الدين، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة– بيروت – 1986م.

6- القطبي، عبد الكريم، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، دار الرفاعي للنشر، الرياض، ط1، 1983م.

7- النهروالي، محمد بن أحمد بن محمد، كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق: هشام عبد العزيز، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط1، 1996م.

8- السنجاري، على بن تاج الدين، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: جمال عبدالله المصري، جامعة أم القرى، ط1، 1998م.

9- العصامي، عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المكتبة السلفية، القاهرة، (د.ت).

10- جلبي، أوليا، الرحلة الحجازية، ترجمة: الصفصافي أحمد، دار الأوقاف العربية، القاهرة، (د.ت).

11- العيدروس، محي الدين عبد القادر، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، (د.ت).

12- الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة – تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، المطبعة الأمريكانية، بيروت 1945م.

13- المحبي، محمد، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر – دار صادر بيروت (د.ت).

14- الجابري، خالد محسن، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2005م.

15- ابن دهيش، عبد اللطيف، الكتاتيب في الحرمين وما حولهما، جامعة الملك سعود، الرياض، 1991م.

16- المديرس، عبد الرحمن مديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2001م.

17- المكي، محمد الأمين، خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ترجمة: ماجدة مخلوف، دار الأوقاف العربية، مصر، ط2، 2005م.

18- السباعي، أحمد، تاريخ مكة، مطابع قريش – 1385هـ. .

19- بدر، عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ط1، 1993م.

20- بيومي، محمد علي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني، دار القاهرة، مصر، ط1، 2006م.

21- شاهين،عزة بنت عبد الرحيم، خدمات الحج في الحجاز: خلال العصر العثماني، دار القاهرة للنشر، ط1، 2006م.

22- عبدالله، عبد الرحمن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1982م.

23- هور خرونيه، سنوك، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، تحقيق: علي عودة الشيوخ، دارة الملك عبد العزيز، 1999م.

24- أمحزون، محمد، المدينة المنورة في رحلة العياشي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود.

25- المطيري، نبيلة بنت سعود، الحياة العلمية في مكة المكرمة 1228-1256هـ رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود.

26- آل مشاري، منى حسن، المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود .

27- الجهني، عويضة، سلطة أشراف مكة في المدينة المنورة خلال القرن العاشر الهجري–مجلة الجمعية التاريخية السعودية – العدد السادس عشر، السنة الثامنة، ذو القعدة 1428هـ/ نوفمبر 2007م.

28- الدهاس، فواز بن علي، المدارس في مكة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، مجلة الجمعية التأريخية السعودية، العدد الثاني، السنة الأولى، يوليو 2000م.

29- بدر، عبد الباسط، الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي،مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الخامس – يونيو– أغسطس 2003م.

Ottoman Efforts in the Development of the Scientific Movement in the Two Holy Mosques in the 10th-16th Hegira Centuries

Khaled Hassan Al-Juhi

Abstract

Allah has blessed the country of Hijaz with the existence of the two holy mosques, which have been the destination for Muslims from all over the world since the appearance of Islam until now, Pilgrims and visitors of these holy sites create economic activities. Scholars from different parts of the Islamic world met each other in these Holy sites or mosques They studied various religious issues. Consequently this flourished the scientific movement in these two Holy Mosques.

This study investigates the efforts of the Ottomans in the development of the scientific movement in the two Holy Mosques during the tenth Hegira century. This period witnessed an important event in the history of Al-Hijaz as it became under the Ottoman influence. The Ottoman Sultans and before them the Mamluks have played important roles in the renaissance of science and knowledge due to their great financial and moral support and the construction of scientific institutions. During this period, the scientific movement in the two Holy sites has witnessed great development. The Ottomans support led to the expansion and establishment of schools such as the four Sulaymaniyah schools established by Sultan Suleiman Alqanony